سلسلة كتيبات شبكة بينونة

حقيقة الدين الإسلامي

الشيخ
إبراهيم بن عبدالله المزروعي

www.baynoona.net
@baynoonanetUAE
@baynoonanet
@baynoonanet

حقيقة
الدين الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة

@baynoonanet @baynoonanetUAE

www.baynoona.net

حقيقة الدين الإسلامي

الشيخ
إبراهيم بن عبدالله المزروعي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فإننا نحمد الله ﷻ على نعمة الإسلام، ونسأل الله ﷻ أن يرزق الجميع الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل ذلك في موازين أعمالنا يوم القيامة.

محاضرة اليوم بعنوان (**حقيقة الدين الإسلامي**).

الإسلام معناه الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة إذلالا وخضوعا، هذا معنى الإسلام، يقال أسلم فلان لفلان ذَلَّ له وانقادَ له وأعطاه مطلوبه، فالإسلام معناه ذلُّ لله تعالى وانقياد لله تعالى بتوحيده والإخلاص له وطاعة أوامره وترك نواهيه، هذا هو الاسلام، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وسمي المسلم مسلما لأنه منقاد لله تعالى ذليل مطيع له سبحانه وتعالى في فعل ما أمر وترك ما نهى، ويطلق الإسلام على جميع ما أمر الله به ورسوله ﷺ من صلاة وصوم وحج وإيمان وغير ذلك؛ كله يسمى إسلاما، كما قال الله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ

ﭐلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة:٣]، وقال سبحانه: ﴿ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥]، فالمسلم هو المنقاد لأمر الله قولا وعملا وعقيدة، فلإسلام هو الانقياد لأمر الله، التسليم لأمر الله، الذل لأمر الله من جميع الوجوه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن وقر الإيمان في قلبه وخلص إليه حقيقة الإسلام وأنه دين الله الذي لا يقبل من أحد سواه إلا كانت حياة قلبه وصحة إيمانه توجب استيقاظه بأسرع تنبيه، ولكن نعوذ بالله من رَين القلوب وهوى النفوس اللذين يصُدَّان عن معرفة الحق واتباعه»، انتهى كلامه من كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٧٣).

إذًا مَن وقر الإيمان في قلبه، وخلص إليه حقيقة الإسلام، وأنه دين الله، حيا قلبُه وصح إيمانه، واستيقظ بأسرع تنبيه وبأسرع موعظة وبأسرع تذكير.

فالحقيقة أن دين الإسلام هو الدين المهيمن على الأديان كلها والناسخ لها، ولن يقبل الله ﷻ من أحد أن يتعبد بدينٍ غيره، أو يدعو إليه ويبشر به، فإن اختار جماعة من أهل الكتاب وغيرهم لأنفسهم البقاء على دياناتهم مع الالتزام بحكم الإسلام فيهم في بلاد الإسلام؛ فإننا نتركهم وما اختاروا مع بيان الحق لهم، هذه مقدمة لا بد منها.

فالإسلام هو الاستسلام لله ﷻ، ويأتي إطلاق الإسلام في القرآن والسنة بعدة إطلاقات، **فقد يُطلق أحيانا الإسلام بمعنى الإخلاص**، كما قال الله ﷻ: ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة:١٣١]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [لقمان:٢٢]، **ويأتي الإسلام بمعنى الإقرار**، ومنه

قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ [آل عمران:٨٣]، **ويأتي الإسلام بمعنى التوحيد،** ودليله قول الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ [المائدة:٤٤]، **ويأتي الإسلام بمعنى الاستسلام،** كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ [آل عمران:٨٣].

أما الإسلام في الاصطلاح العام: هو استسلام العبد، خضوعه لله، التزام ما أتى به نبيٌّ من الأنبياء وإظهار ذلك، أو هو **-معنى الإسلام في الاصطلاح العام-** استسلام العبد لله ظاهرا وباطنا بفعل أوامره واجتناب نواهيه بحسب ما جاء عن الله ﷻ على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام.

أما الإسلام الخاص بهذه الأمة هو الاستسلام والانقياد لله والالتزام بما جاء به النبي محمد ﷺ، هذا هو الدين الخاتم الذي ختم الله به جميع الأديان، والذي لا يقبل الله ﷻ من أحد دينا سواه، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران:٨٥]، وقال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**» هذا حديث رواه مسلم وغيره، وهو في صحيح مسلم برقم (١٥٣).

فالإسلام هو الدين الخاتم الذي ختم الله ﷻ به جميع الأديان، الإسلام هو دين الأنبياء جميعا، شرائع الأنبياء تختلف، الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]؛ إذاً الدين واحد؛ دين جميع الأنبياء من آدم عليه السلام إلى

محمد ﷺ هو الإسلام، والله ﷻ أنزل شرائع وكتبًا سماوية على الأنبياء والرسل، قال الله ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، فالشرائع تختلف، حيث إن كل شريعة تختلف عن الأخرى في الحلال والحرام، ولكن الدين واحد، فكل الأنبياء والرسل دينهم واحد وهو الإسلام، فالأنبياء -كل الأنبياء والرسل- قالوا: «إنا مسلمون»، حتى فرعون قال حين أدركه الغرق قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠]، فلماذا لم يقل وأنا من اليهود؟ لأن الدين هو الإسلام، وهذه الآيات والأدلة على أن الدين واحد وهو الإسلام، قال نبي الله نوح عليه السلام: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٧٢]، وقال نبي الله إبراهيم عليه السلام لبنيه: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢]، وقال نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١]، وقال نبي الله موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤]، وقال نبي الله عيسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٥٢]، وتأتي آية جامعة لكل الأنبياء وهم يقرون بأنهم مسلمون؛ قال الله ﷻ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].

وجاء خاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ يحمل الشريعة الإسلامية التي تدعو لدين الإسلام أيضًا ولكن بمنهج مكمِّل لكل الشرائع السابقة، فكل مَن آمن بالله وبكل نبي بُعِثَ فهو مسلم، ويشهد أن لا إله إلا الله؛ أي أنه مستسلم وخاضع لله وحده إلهًا واحدا لا شريك له، ولما بُعِث النبي ﷺ نُسِخَت الشرائعُ السابقة، فيجب على جميع مَن في الأرض أن يؤمنوا بمحمدٍ ﷺ، وهذا هو الإسلام، ولذلك قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال النبي ﷺ: «والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة -هذه الأمة: أمة الدعوة- يهوديٌّ ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[١]؛ فلا تُقبَل شريعة ولا ملة إلا الإسلام الذي كان عليه رسول الله ﷺ.

والإسلام دين الفطرة، دين الخِلقة، **قال ابن منظور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في لسان العرب**: «**وفطَرَ اللهُ الخلقَ يفطرُهم: خَلقَهُم وبدأَهم، والفطرةُ: ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به**»[٢]، **وفي الشرع**: الفطرة هي الإسلام.

الفطرة من أعظم البواعث على التدين، ودلت الأدلة من الكتاب والسنة على أن الإنسان نفسه مفطور على الإقرار بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعلى العبودية لله ﷻ وحده لا شريك له، فكل مخلوق قد فُطِر على الإيمان بخالقه وأنه ﷻ رب كل شيء وخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، قال النبي ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على**

[١] أخرجه مسلم (١٥٣).
[٢] لسان العرب (٥/ ٥٦).

الفطرة فأبواه يُهَوِّدانِه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه»[١]، وفي رواية: «**ما من مولود إلا يولد على هذه المِلَّة**»[٢] والحديث في الصحيحين وفي غيرهما، هكذا يقول النبي ﷺ، ويقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «**وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالَتْهُم عن الدين**» والحديث رواه مسلم في الصحيح برقم (٢٨٦٥).

فالإنسان مفطور على اللجوء إلى ربه تبارك وتعالى، **والمراد بقوله** ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الملة أو على الفطرة**»، المراد أن كل مولود يولَد على محبته لفاطره وإقراره له بربوبيته، فلو خُلّيَ هذا العبد وعُدِم المعارض لم يعدِل عن ذلك إلى غيره سبحانه وتعالى، كما أنه يولد على محبة ما يُلائم بدنه من الأغذية والأشربة، فيشتهي اللبن الذي يناسبه ويغذيه، هكذا كله مولود فُطِر على محبة الله عز وجل وعلى الإقرار بربوبيته وألوهيته سبحانه وتعالى، ولذلك لما وُجِدَت المؤثرات قال النبي ﷺ: «**فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يُمَجِّسانه**» ولم يقُل: يُسَلِّمَانِه؛ لأنه باق على الأصل، فاعتناق غير الإسلام يُعَد خروجًا عن الأصل، الأصل أنه ولد مسلما، كل مولود على وجه الأرض يولد مسلما فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، فهذه حقيقة دين الإسلام، هو الدين الحق، هو الدين الناسخ لجميع الديانات والشرائع السابقة، فالمولود يولد مقرا بخالقه سبحانه وتعالى، محبا له، متوجها إليه، فإذا بقي على هذه الفطرة فهو مسلم على الأصل، لا يحتاج إلى تجديد الدخول في الإسلام إذا بلغ وعقل، أما إذا نشأ بين أبوين غير مسلمين واعتنق دينهما الباطل،

[١] أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

[٢] أخرجه البخاري (٦٥٩٩، ٦٦٠٠)، ومسلم (٢٦٥٨).

أو كان معتنقا أي دين غير الإسلام كان واجبا عليه أن يتخلى عن دينه السابق ويدخل في دين الإسلام؛ فيشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ثم يبدأ بتعلم ما يقيم به شعائر دينه من إقامة الصلاة ونحو ذلك.

فالإسلام عام خالد مناسب لجميع العصور، صالح لجميع الأمم، ولا يمكن ذلك إلا إذا بُنِيَتْ أحكامُه على أصول الفطرة الإنسانية ليكون صالحًا للناس كافة وللأزمان كافة، وقد اقتضى وصف الفطرة أن يكون الإسلام سمحًا يسيرًا؛ لأن السماحة واليسر مبتغى الفطرة، وقد دلت الأدلة على أن هذه فطرة والإقرار بالخالق إلها وربا، **هذه الفطرة قابلة للتأثر والتغير والانحراف بفعل مؤثرات خارجية**، هذه المؤثرات التي تؤدي إلى انحراف الفطرة عن وجهتها الصحيحة، **فمن هذه المؤثرات الشياطين**؛ والشياطين شامل لشياطين الجن والإنس ممن يسعون لصرف الناس عن فطرتهم وعن إقبالهم على ربهم، والشيطان هو المؤثر الأصلي لانحراف الإنسان عن فطرته عن الإسلام، هذه حقيقة الإسلام، هو دين الفطرة.

ومن المؤثرات أيضا التي تؤدي للتغيير والانحراف لهذا المولود الذي يولَد على الفطرة وعلى الإسلام؛ **من هذه المؤثرات: الأبوان**، وجاء في الحديث: «**فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**» هذا المؤثر أيضًا من أقوى المؤثرات؛ لشدة التصاق الأولاد بآبائهم وقوة تأثير الآباء عليهم، وهكذا قد يقوم المجتمع نفسُه والإعلام بدور الأبوَيْن أو أشد من جهة صرف الناس عن مقتضى الفطرة،

أيضا من المؤثرات التي تغيّر هذا المولود وتَحرِفُه عن الفطرة: **الغفلة**، الغفلة بالدنيا وبزخارفها، فالاشتغال بنعيم الدنيا قد يُنسِي الإنسانَ ربَّه ويصرفه عن فطرته التي فطرهُ الله عليها.

ولسائلٍ أن يسأل: ما فائدة الفطرة طالما أنها على تلك الحال من التأثُّر بهذه المؤثرات الخارجية التي تؤدي إلى انحرافها؟

فالجواب: أن حكمة الله ﷻ اقتضت جَعْل الفطرة بهذه الحالة، أنها قد تتغير، ليتحقق الغرض من ابتلاء الإنسان بالخير والشر ومن ثُمَّ جزاؤه على عمله، إذ لو كانت الفطرة قوية لا تتأثر بشيء لما وقع الكفر والانحراف في بني آدم، بل صاروا غير قابلين للكفر، فلا يتحقق الابتلاء، ولله ﷻ الحكمة البالغة.

أيضًا مما يُبيِّن حقيقة الإسلام أن هذا الدين دين الإسلام هو من الله ﷻ، الله ﷻ هو رب كل شيء ومليكه، الخالق وحده، المدبر للكون كله، العالم بكل شيء، المحي المميت، القادر، المتَّصِف بكل كمال، المتنزه من كل نقص وعيب، المستحق للعبادة وحده ﷻ، قال الله ﷻ معرِّفًا عبادَه بنفسه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]، والله ﷻ له أسماء كثيرة سمى بها نفسه، **ومن أسمائه الله** ﷻ، **وأصل هذا الاسم**: الإله، وهو بمعنى المعبود، **والإله**: اسم من أسماء الله

تعالى الحسنى، ورد في القرآن الكريم، قال الله ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]، أيضا من حقيقة هذا الدين أن الله ﷻ هو القادر والقدير والمقتدر سبحانه وتعالى، هذه أسماء، صفات لله ﷻ، جميعها تدل على ثبوت القدرة، وأنها صفة لله ﷻ، وأنه سبحانه كامل القدرة، فبقدرته أوجَدَ الموجودات، وبقدرته دبَّرها، وبقدرته سوَّاها وأحكَمَها، وبقدرته يحيي ويميت ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون سبحانه وتعالى، وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها على ما يشاء ويريد، ويهدي مَن يشاء ويضل مَن يشاء، ويجعل المؤمن مؤمنا، والكافر كافرا، والبرَّ برًا، والفاجرَ فاجرًا، ولكمال قدرته لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء أن يعلمه إياه، ولكمال قدرته كل شيء طوع أمره وتحت تدبيره، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، الله ﷻ هو الذي شرع هذا الإسلام، هذه حقيقة الدين الإسلامي.

ومن حقيقة الدين الإسلامي ومن أركانه: البر، وآثار هذا البر عميقة، والبر جاء في القرآن والسنة بمعان جامعة، وبآثار عميقة، كلها تدور حول كل خير وفلاح في الدين وفي الدنيا وفي الآخرة، يقول الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**البر: اسم جامع يدخل فيه العقائد الإيمانية، وأعمال القلوب وأعمال الجوارح، ويدخل فيه جميع المأمورات وترك المنهيات..**»، كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المجموعة الكاملة لمؤلفاته، المجموعة الخامسة، (١/ ٥٢٩)، هذا تعريف جامع للبر الذي هو من حقيقة هذا الدين الإسلامي، **وقد ورد البر في القرآن**

الكريم جاء بمعنى الصلة، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا﴾ [البقرة:٢٢٤]، وقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ [الممتحنة:٨]، أن تبروهم أن تصلوهم، **جاء البر أيضا بمعنى الطاعة**، قال الله ﷻ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ [مريم:١٤]، وجاء أيضا البر **بمعنى** فعل الطاعات كما قال ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة:٢]، فالبر هنا بمعنى الطاعات، **وجاء أيضا البر بمعنى** التقوى، كما قال الله ﷻ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، ويقول النبي ﷺ: «**البر حسن الخلق**» والحديث رواه مسلم في صحيحه، برقم (٢٥٥٣)، يقول الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لهذا الحديث: «**إنما اختلف تفسيره للبر؛ لأن البر يُطلَق باعتبارين؛ أحدهما: باعتبار معاملة الخلق بالإحسان إليهم، وربما خصّ بالإحسان إلى الوالدين، فيُقال: بر الوالدين، ويُطلَق كثيرا بالإحسان إلى الخلق جميعا، قال: يتضمن -أيضًا- الإحسان إلى الخلق عموما، ويُقدَّم فيه بر الوالدين على غيرهما**، وهكذا أيضًا يقول النبي ﷺ: «**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»؛ **فالبر إذا يأتي بمعنى الطاعة، ويأتي بمعنى حسن الخلق، والبر بهذا المعنى يدخل فيه جميع الطاعات الكامنة**، ومعنى قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧]، **فالبر بهذا المعنى يدخل فيه جميع الطاعات**

الباطنة؛ كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والطاعات الظاهرة؛ كإنفاق الأموال فيما يحبه الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر على الأقدار كالمرض والفقر، وعلى الطاعات أيضا الصبر، كالصبر عند لقاء العدو وهكذا،» انتهى كلام الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «**جامع العلوم والحكم**» (٢/ ٩٩)، هكذا يتبين لنا شيء من معاني البر وآثاره العميقة، هذه هي حقيقة الدين الإسلامي، يدعو إلى البر.

وأيضا من حقيقة الدين الإسلامي العناية بالأخلاق، فالإسلام مبني على الأخلاق الحسنة، الأخلاق في الإسلام لها منزلة عالية، فالأخلاق هي الطبيعة والسجية، هي الدين، **وحسن الخلق**: كلمة الخلق وكلمة حسن؛ **الحسن** ضد القبح ونقيضه، والجمع محاسن، **حسن الخلق**: هو التحلي بالفضائل والمكارم كطلاقة الوجه، ولين الجانب، وطيب الكلام، وكرم النفس، وكف الأذى، هذه هي حقيقة الدين الإسلامي، سلامة الصدر، والحلم، والصبر، والعفو، والشجاعة، ونحو ذلك من مكارم الأخلاق مع البُعد عن ما يضاد ما ذكر، فهذا من أيسر ما يوضح معنى حسن الخلق، معنى الخلق الحسن كما قال النبي ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**»[١].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام والدعاء له والاستغفار والثناء عليه والزيارة له، تعطي من حرمك من التعليم والمنفعة والمال، وتعفو عمن ظلمك في دم أو**

[١] أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٢١٣٩٢).

مال أو عرض، وبعض هذا واجب وبعضه مستحب»، انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «**مجموع الفتاوى**» (١٠/ ٦٥٨).

فمن حقيقة الدين الإسلامي: العناية بالأخلاق، الأخلاق الحسنة، والتحذير من الأخلاق السيئة، الأخلاق كامنة في النفس تظهر عن طريق تصرفات صاحبها، في كلامه، طلاقة وجهه، وفي طعامه وشرابه، وتأديب أهله، هكذا.

أما فضائل حسن الخلق فهي كثيرة، جاءت الشريعة الإسلامية تبين هذه الفضائل العظيمة التي تنتظم بها الحياة، وينال المتخلِّق بها خيري الدنيا والآخرة.

حسن الخلق امتثال لأمر الله ﷻ، قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

حسن الخلق طاعة للرسول ﷺ، فقد أمر بحسن الخلق، قال ﷺ: «**وخالق الناس بخلق حسن**»، حسن الخلق فيه اقتداء بالنبي ﷺ، والله ﷻ قال عنه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

حسن الخلق فيه رفعة للدرجات، قال ﷺ: «**إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»[١] الحديث رواه أبو داوود وغيره، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٩٥).

حسن الخلق أعظم ما يدخل الجنة؛ كما قال النبي ﷺ: «**أعظم ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق**» الحديث رواه الترمذي وغيره، وهو في صحيح سنن الترمذي (٢٠٠٤).

[١] أخرجه أبو داود (٤٧٩٨).

حسن الخلق من فضائله القُرب من مجلس النبي ﷺ يوم القيامة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا**»[١] الحديث رواه أحمد والترمذي.

أيضا من فضائل حسن الخلق أن حسن الخلق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة، قال ﷺ: «**ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق**»[٢] الحديث رواه أحمد وأبو داوود والترمذي وصححه الألباني في الصحيحة (٨٨٦)، وهكذا فضائل كثيرة لحسن الخلق الذي هو من حقيقة هذا الدين الإسلامي العظيم.

هل يمكن اكتساب الأخلاق الحسنة؟ أو لا يمكن؟

الجواب أن الأخلاق والطباع كما أنها غريزية فطرية جبلية، هي كذلك تُكتَسب ويُتخَلَّق بها، واكتساب الأخلاق يأتي بالدُّربَة والمجاهدة والأخذ بالأسباب؛ كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[الرعد:١١]، وقال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩]؛ فالذي يزكي نفسه ويدرب نفسه ويجاهد نفسه ويأخذ بأسباب التزكية أعانه الله ﷻ على تزكية نفسه ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩]، ويقول النبي ﷺ: «**إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه**» هذا حديث ذكره الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السلسلة الصحيحة (٣٤٢)، قال: إسناده حسن، هذه نصوص تدل على أن تغيير الطباع والأخلاق وارد ممكن، ليس متعذرا ولا مستحيلا، فلو

[١] أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، وأخرجه بنحوه أحمد في «الزهد» (١/ ١٤٧).
[٢] أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢)، وأحمد (٢٧٥١٧).

كانت الأخلاق لا تتغير ولا تكتسب لبطلت الوصايا والمواعظ والتهذيبات، ولكان الأمر بالتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل من التكليف بما لا يطاق، ولا يقول هذا عاقل، أما إذا جبل المرء على مكارم الأخلاق وأدب نفسه بآداب الشريعة ونمَّاها بالدربة والممارسة والمجاهدة والأخذ بالأسباب فذاك نور على نور ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الجمعة:٤].

هذه هي حقيقة الإسلام، إن هذا الدين هو دين الفطرة، فكل مولود يولد على الإسلام، يوجد مؤثرات تغير هذا المولود، تغير فطرة هذا المولود، تحرفه عن فطرته ودينه الحق.

إن هذا الدين الاسلامي من عند الله ﷻ، الله رب كل شيء، الخالق وحده ﷻ، العالم بكل شيء إن هذا الدين شامل للعقيدة الإيمانية وأعمال القلوب وأعمال الجوارح، يدخل فيه فعل المأمورات وترك المنهيات، هذا هو تعريف البر كما مر معنا.

فالإسلام دين الخير والعقيدة والعمل، كذلك هو دين الأخلاق الحسنة، جعل الإسلام لهذه الأخلاق منزلة عظيمة، وحث عليها، وأثاب عليها، هذه حقيقة الدين الإسلامي.

نسأل الله ﷻ أن يثبتنا وإياكم على هذا الدين، وأن يعيننا وإياكم على الأخذ بأسباب الثبات على هذا الدين، وأن يُحيِينا ويُمِيتَنا على هذا الدين، كما نسأله ﷻ أن يُفقِّهنا وإياكم في ديننا، ونسأله ﷻ أن يوفق ولاة أمورنا لما يحبه ويرضاه، وأن يرزقهم البطانة الصالحة، ثم نسأله ﷻ أن يحفظ بلادنا دولة الإمارات وبلاد

المسلمين من كل شر وفتنة، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتيبات

يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط التالي

https://www.baynoona.net/ar/all/ebooks